رمزية الشخصية التراثية وفاعليتها في شعر محمّد عبدالله البريكي

د.رسول بلاوي

(أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر – ايران)

r.ballawy@pgu.ac.ir

صادق البوغبيش

(طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر – ايران)

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/١٠/٢٩

تاريخ القبول : ٢٠٢٠/١٢/٢٨

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المـــلُخّص

لقد حظيت الشخصيّات المتنوعة منها الدينية والأسطورية بأهميّة بالغة لدى الكثير من الشعراء المعاصرين حيث تواصل هؤلاء الشعراء بأشكالٍ مختلفة مع هذه الشخصيات التراثيّة باعتبارها مصدراً فنياً يساهم بشكلٍ كبير في إغناء القصيدة الشعرية وتخصيبها وتعميق دلالاتها. استدعاء الشخصيات من أغنى المصادر الأدبية التي يلجأ إليها الشعراء لما تحمله من دلالات شتّى وطاقات إيحائية. والشاعر الإماراتي محمد البريكي وظّف القصص القرآنية وشخصياتها في نصوصه لإثراء الدلالة ونقل المضمون إلى المتلقي. يهدف هذا البحث إلى دراسة الشخصيّة التراثيّة وفاعليتها الرمزية والدلالية في شعر البريكي، وطبيعة البحث تقتضي الاعتماد على المنهج الوصفي – التحليلي للكشف عن رمزية الشخصيات التراثية وتبيين أنماطها ودلالاتها. هذه الشخصيات الرمزية تحمل دلالة توافق تجربة الشاعر أو تقترب منها، وكان توظيف هذه الشخصيات في شعر البريكي تارة فنياً حيث استلهم دلالات الشخصيات وإيحاءاتها وتارة سطحياً دون إضفاء أي دلالة عصرية على الشخصيّة.

الكلمات المفتاحية، الشعر العربي المعاصر، الرمز، استدعاء الشخصيات، محمّد عبدالله البريكي.

The Status of Ramsey's Personality and Its Function in the Poetry of Mohammad Abdullah al-Bariki

Rasoul Balavi (Associate Professor, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

r.ballawy@pgu.ac.ir

Sadegh Alboghbeish (Ph.D. student, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

Abstract

Diverse figurers in religious-mythical culture have a very valuable and important status among poets. In fact, poets have interacted with such figures in various ways because they are technical references for fertilizing and enriching with modern themes, and fill qasidas with artistic, figurative, and literary themes. Emirati poet Muhammed Abdullah al-Bariki is one of the contemporary poets who has used such figures extensively to foster the secondary implications (figurative meanings) and themes relevant to contemporary cultural figures related to poet's era. The present study aims to examine cultural, religious, and historical characters in the of al-Beriki's poetry, based on a descriptive-analytical basis for decoding those figures and revealing their secondary meanings and implications. These figures are in many cases identical to the poet's personality, reflecting the poet's own experiences. The poet's use of these figures is sometimes technical and their implications sometimes superficial to the use of secondary meanings relevant to the poet's era.

Keywords: contemporary Arabic poetry, Symbol, addressing figures, Muhammed Abdullah al-Bariki.

١- المقدمة

حاول الشاعر العربي أن يعود إلى التراث الغني بالمضامين والدلالات والرموز عودة فنّية ليعبّر عن معاناتة ومعاناة شعبه وكانت الشخصيات التراثية الغنيّة، بالمضامين والدلالات والمعاني المختلفة من أهمّ وأثرى التقنيات التي عاد إليها الشاعر المعاصر، ليشبع نصّه بقيمة فنّية وإصالة؛ وقد وظّف الشعراء شخصيّات تراثيّة لإغناء نصوصهم الأدبية، وأصبح استخدام هذه الشخصيّات التراثيّة في المجتمع العربي شبه ضرورة، فقد لجأ الشاعر إليها ليحفظ نفسه من القهر السياسي والاجتماعي الحاكم على المجتمع؛ هذا وبالإضافة إلى أهمية الشخصيات التراثيّة في بناء القصيدة الحديثة فقد أصبحت هذه الشخصيات جزءاً أساسياً في البناء الشعري لتجنّب السطحية والرتابة في النص؛ حيث استخدامها «ضرورة لبناء معمار القصيدة الحديثة، وهي محاولة إبداعية لتجنيب القصيدة الوقوع في المباشرة والغنائية التي تكاد تطغى على الكثير من شعرنا العربي الحديث» (القعود، ٢٠٠٢م، ص ٥٨) (Al-Qaoud, 2002, p. 58).

الشخصيات التراثيّة التي يستلهمها الشاعر المعاصر متنوعة منها؛ شخصيات دينية، وأدبية، وأسطورية، وتاريخية، وشعبية. إنّ توظيف الشعراء العرب للشخصيّات التراثيّة والرموز الأسطورية جاءت منذ مطلع القرن العشرين وهذا ليسَ أمراً جديداً، خاصّة الرموز التي «تنتمي إلى حضارتهم القوميّة، وإلى الحضارات الإنسانية الأُخرى، بل إنّ معظم شعرائنا قد لجأوا إلى الأساطير الإغريقية والفينيقيّة والمصريّة القديمة في نتاجهم الشعري؛ ويفترض بعض الدارسين أنّ وعي الشاعر العربي المعاصر بتراثه واضحٌ في هذا النتاج الشعري العربي منذ البارودي و هذا يؤكّد فنّية التعامل مع الرمز القديم والاستفادة منه في نسيج النص الشعري» (الكركي، ١٩٨٩م، ص ١١-١٦) (alkaraki, 1989, p. 11-16).

محمّد عبدالله البريكي من الشعراء الذين اعتنوا بتوظيف الشخصيات الرمزية في شعرهم. وقد أصبحت صلة وثيقة بين البريكي وبين الشخصيات الرمزية في النص وتعمّد أن يستلهم من مصادر متنوعة وبطرق تعبيرية مختلفة، ومن يلق النظر إلى شعره يجده ملئاً بتوظيف القصص القرآنية والأساطير والنصوص الأدبية، واستدعاء الشخصيات الدينية والتاريخية والأدبية، ممّا يدلّ على انفتاحه واطلاعه على مصادر التراث وتمكّنه من استخدامه لرفد نصه بطاقات شعورية ودلالية.

١-١- أسئلة البحث

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية، ما هي أنماط توظيف الشخصيات الرمزية لدى محمّد عبدالله البريكي؟ وما هي الدلالات التي تحملها هذه الشخصيات؟

١-٢- إشكالية البحث

حاول الشاعر العربي في العصر الحديث أن يوظّف في نصّهِ شخصيّات رمزيّة بعدما عرف بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنيّة، وبالمعطيات والنماذج التي تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لاحدود لها؛ وهنالك من تعمّد أن يجعل لهذه الشخصيات تأويلات غير التي عرفها النقد القديم؛ ومن هذا المنطلق كُـــــتِـــــبت دراسات عديدة لكي تأوّل الشعر الحديث وفق الضرورة الجديدة. وشهد الأدب العربي الحديث كتّاباً من الجيل الجديد في دول الخليج من شعراء وروائيين ومسرحيين حيث أجادوا الكتابة وأتقنوها بصورتها الحديثة؛ ومن أولئك الشعراء الذين اعتمدوا على شخصيّات تراثية في شعرهم هو محمّد عبدالله البريكي؛ فمعالجة قضيّة الشخصيات التراثيّة في شعر البريكي ومستوى براعة الشاعر الفنيّة في عرضها ونقلها، أمر له ضرورته الماسة. قسّمنا البحث إلى عدّة محاور، منها شخصيات الأنبياء، والشخصيات النسويّة، والشخصيّات المنبوذة، ثمّ الأساطير الرمزية في شعر البريكي، وسوف نسعى للكشف عن رمزية هذه الشخصيّات من خلال عمليّة النقد والتفسير.

١-٣- خلفيّة البحث

هناك كتاب تحت عنوان "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" للكاتب علي عشري زايد وقسّم الكتاب إلى أسفار؛ السفر الأول، علاقة الشاعر المعاصر بالموروث بين التسجيل والتوظيف، والثاني، مصادر الشخصيات التراثية في شعرنا المعاصر، والثالث، تكنيكات توظيف الشخصية التراثية في الشعر المعاصر، والسفر الرابع مزالق تهدد ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية. وقد أُنجزت بعض البحوث حول الشخصيات التراثية في دواوين عدّة منها، قام الباحثان غلام رضا كريمي‌فرد وقيس خزاعل بدراسة "الرموز الشخصيّة والأقنعة في شعر بدر شاكر السياب" وذكرا رمز الموت والبعث، وجيكور، وبُوَيب، والمطر والماء، ووفيقة ابنة عم الشاعر، وشخصيات كأيوب النبي وتموز والمسيح وسيزيف، وبحدّ تعبير الباحثينِ كان اختيار الشاعر لهذه الشخصيات الرمزية صحيحاً ومقبولاً. وكتب عاطي عبيات ورسول بلاوي بحثاً تحت عنوان "الشخصيّة القرآنية عند شعراء الشتات الفلسطينيين؛ أنموذجاً شخصيّة المسيح عليه السلام" ونُشِرَ هذا البحث في العدد الثالث من مجلة اللغة العربية وآدابها في

خريف ٢٠١٤م، وقد عالج الكاتبان شخصيّة المسيح وفاعليتها الدلالية في القصيدة الفلسطينية المعاصرة، منها دلالات التضحيّة والفداء، ودلالات المفارقة، ودلالات العودة والإنقاذ، ودلالة المقاومة، ودلالة البعث والنهوض ومن خلال بحثنا لم نعثر على دراسة تعالج نصوص محمّد عبدالله البريكي بصورة ممنهجة وفق معايير منظمّة وبما أنّ هذا الشاعر من الوجوه اللامعة في الأدب الخليجي فرشّحناهُ لهذه الدراسة.

٢- سيرة محمّد عبدالله البريكي في سطور

محمّد عبدالله البريكي هو شاعر وإعلامي، ومدير بيت الشعر في الشارقة. فاز بالمركز الأوّل في مسابقة الشيخ سعيد بن زايد آل نهيان الشعرية عام ٢٠٠٥ وبالمركز الثاني في مهرجان الشعر العماني الثالث في عام ٢٠٠٩ بقصيدة أنثى البدايات، وهو صاحب عمود "عود الثقاب" في جريدة الخليج الإماراتية. وله دواوين شعرية منها، ديوان زايد، همس الخلود وسكون العاصفة، وساحة رقص من الشعر الشعبي، وديوان بيت آيل للسقوط وبدأت مع البحر وعكاز الريح.

٣- التراث، وعودة الشاعر إليه

شاعت في الآونة الأخيرة تقنية استدعاء الشخصيّة التراثيّة في الشعر العربي وهناك مجموعة من العوامل الثقافية والفنيّة والاجتماعية وراء شيوع هذه ظاهرة؛ وتُعَد صورة من صور الارتباط بالموروث. الشخصيّات التي استخدمها الشعراء في نصوصهم تأتي من جذور الحضارة البشرية ولها عمق في التراث الإنساني وكل من هؤلاء الشعراء يحاول أن يأوّل هذه الشخصيات التراثية حسب تجربته الشعرية وحوائجه النصيّة، ولا تقنية تخدم الشاعر أكثر من التراث لأنّ «التراث هو الينبوع الدائم التفجّر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، ولفظ التراث في اللغة العربية من مادّة ورث وتجعله المعاجم القديمة مرادفاً للإرث والورث والميراث» (الجابري، ١٩٩١م، ص٢٢) (alJabri, 1991, p. 22).

كثيراً ما لجأ الشاعر المعاصر إلى شخصيات تراثية في تقلّبات أحواله مثلاً عند الهموم ترى يستدعي أيّوب، وفي الذُلّ يستدعي شخصيّات تاريخيّة لها صداها في الحياة الإجتماعية، وفي النصر تراه يأتّي سيرة أبطال الإسلام؛ فهذا هو التراث الذي «جمع الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفنّي وكلّ ما يتصّل بالحضارة والثقافة وحكايات وكتابات وتاريخ أشخاص وقيم وما عبّر عنه ذلك كله من عادات وتقاليد وطقوس» (بوعمارة، ٢٠١١م، ص٢) (bo amareh, 2011, p 2).

التراث ليس التأريخ فحسب بل يشمل جميع أطراف الحضارة البشرية وهو ذلك المخزون «الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية، بما فيها من عادات وتقاليد سواء هذه القيم مدونة في كتب التراث أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن. وبعبارة أكثر وضوحاً إنّ التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، وتموت شخصيته وهويته اذا ابتعد عنه أو فقده» (اسماعيل، ٢٠٠٠م، ص٤٠) (Ismail, 2000, p. 40). ومن خلال توظيف الشخصية التراثية من قبل الشاعر تأتي دلالات مرتبطة بعصر الشاعر المعاصر وهذه العلاقة «ابتدأت بالمحاولات الأولى لإحياء التراث في بداية عصر النهضة، ومرّت منذ ذلك الحين بعدّة أطوار حتّى انتهت إلى صيغتها الأخيرة "توظيف الشخصيّة التراثيّة" أو "التعبير بها" وهي صيغة تقابل صيغة "التعبير عن" الشخصيّة التراثيّة أو "تسجيلها"». (عشري زايد، ١٩٩٧م، ص١٣) (ashari zayed, 1997, p. 13) . وهناك عوامل عدّة لعودة الشاعر المعاصر إلى الموروث؛ منها عوامل ذاتية، ومنها عوامل فنيّة، وثقافية، وعوامل سياسية واجتماعية، وعوامل قوميّة وعوامل نفسيّة. واختيار الشخصيات في شعر البريكي كان فنياً وثقافياً قبل أن يكون سياسياً.

٣-١- استدعاء شخصيّات الأنبياء

الشخصيّات الدينية التراثيّة لها أهميّة خاصّة لدى الإنسان، ومن أهمّ ما إحتفظَ به البشر هو الموروث الديني على طيلة القرون. وقد كان في كل صورة وعند أية أُمّة مصدراً سخيّاً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية. الأدب العربي حافل بنماذج محورها شخوص وموضوعات دينية. ويمكن أن نصنّف الشخصيات التي استمدّها محمّد عبدالله البريكي في شعره من الموروث الديني في ثلاث مجموعات رئيسية، شخصيّات الأنبياء، وشخصيّات نسويّة وشخصيّات منبوذة. الأنبياء هي أكثر شخصيّات التراث الديني في الشعر المعاصر كما يقول علي عشري زايد: «شخصيّات الأنبياء عليهم السلام هي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعاً في شعرنا المعاصر، ولا غرو فقد أحسّ الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء» (المصدر نفسه، ص٧٧) (same, p. 77). يُعدّ الرمز الديني مصدراً مهماً من المصادر الثرية التي يستخدمها الشاعر المعاصر، «في مدّ تجاربهم الشعرية بنسغ الحياة وإعطائها صفة الديمومة والبقاء، وإكسابها قوة وفاعلية، وذلك لما يشكّله الدين من حضور فعّال وقوي لدى جماهير الناس، ولما يتمتّع به من قوةٍ تأثيريةٍ عظيمة، هذا بالإضافة إلى كون الدين يمدّ الشعراء بنماذج أدبية ربّما لا يجدونها في

مصادر أخرى» (عبيات وبلاوي، ٢٠١٤م، ص٤٧٤) (abeyat and balavi, 2014, p. 474). واستخدام شخصيّات دينيّة لا يعني تغيير نمط القصيدة إلى عظات وخطابات دينية، «إنّما اتكأت على ذلك وأفادت منه بدلالاته المختلفة، لتقوم القصيدة على هذه العناصر مع رؤية الشاعر وواقعه، مشكلةً حركيتها ووجودها وحياتها الخاصّة والعمل على صهر هذه الرموز ضمن حدس واعٍ يتوسّد الرؤيا الاستشرافية والاستيعاب النقدي للماضي، لإنتاج نص شعري يعكس فيه تجاربه وما حلّ بهِ» (صالح، ٢٠٠٩م، ص٣٩٦) (saleh, 2009, p. 396). ومن هذا المنطلق وظّف البريكي شخصياته الدينية بدراية وانفتاح عميق.

٣-١-١- رمزيّة شخصيّة آدم

لقد استحضر البريكي شخصيّات الأنبياء في نصوصه إلّا أنه كان يلمح إليها في بعض نصوصه دون أن يصرّح بأسمائها أو كان أحياناً يستلهم من الأحداث التي جرت على الأنبياء. وقد اعتمد الشاعر على الطاقة الإيحائية لهذه شخصيات، حيث تحتوي على الكثير من المفاهيم والطاقات الدلالية التي يمكن لنا استعيابها في النص الشعري. وظّف الشاعر شخصيّة النبي آدم في شعره، هذه الشخصيّة التي كانت بمثابة الانخراط إلى المعصيّة والرجوع منها؛ وكان النبي آدم عليه السلام في الشعر العربي والإسلامي عبارة عمّن ينخرط إلى المعصيّة من غير وعي ويرجع تائباً إلى أحضان الله وأهله، ويرى معاقبة الله تحذيراً له لكي يرجع إلى أحضانه بالمحبة والمودّة، فهذا البريكي يلمح إليه قائلاً:

أنا آدميٌّ الروح لستُ نبيّها أخاطبُ ذاتَ المغرمينَ بما أرى

(البريكي، ٢٠١٩، ص١١) (al-Bariki, 2019, p. 11)

يرى البريكي أنهُ كأبيهِ آدم ليس معصوماً من الخطأ ولاحرج على المغرمين في الهوى. في هذا التوظيف نوعٌ من القياس ويرى روحه الشاعرة كآدم تهوى إلى ما مُنِعَ فعله وبما أنّ آدم كان نبياً وأخطأ فكيف إذا كان الشاعر ليس بنبي. ثمّ ينسبُ خطأ نفسه لهذه الشخصيّة قائلاً:

«أنا يا أبي آدم ابنك/ أبعدُ شوقاً عن الماء/ ثمّ أعودُ إلى العومِ/ تُشغلُني عن جنونِ الأعاصيرِ/ تفاحةٌ....أنا يا أبي مثلُ أبنائك المغرمينَ/ وكلٌّ ابنُ آدمَ خطاء/ لكنَّ ربي إذا عدتُ/ يفتحُ لي سُلماً للسماء» (البريكي، ٢٠١٥م، ص٧٤-٧٥) (al-Bariki, 2015, p. 74-75).

يسرد الشاعر أحداث حياته مخاطباً أبيه آدم عليه السلام ويحاول أن يرضي نفسه اللوامة التي تلومه في كل فعلة؛ فجملة "أنا يا أبي آدم ابنك" هي التي تحمل دلالة الاستدعاء وتوظيفها لهذا

النص، ثمّ يشيرُ إلى قضيّة آدم وحوّاء وخروجهما من الجنّة بقضمة تفاحة. أراد البريكي من خلال هذه الشخصيّة التراثيّة أن يوجّه أهواءه التي ربّما تجلبُ له المعصيّة وهو عارف بهذا الأمر.

٣-١-٢- رمزيّة شخصيّة النبي يونس

هنالك قصص ترفع المعنويات ولها تأثيرها النفسي على الإنسان حيث تحيي الأمل في القلوب لما في قصّها من ترويض المصاعب التي يمر بها الأبطال في مسيرتهم، فدائماً تكون نتيجة هذه القصص إيجابية ولصالح الخير والخيرين، ومن هذه الشخصيّات هي شخصيّة النبي يونس عليه السلام. جاء في القرآن الكريم: ﴿وإنّ يونسُ لمن المرسلين إذ أبق إلى الفُلك المشحون فساهم فكان من المُدحضين فالتقمهُ الحوتُ وهو مُلِيم﴾ (الصافات/١٣٩- ١٤٢) (Al-Safat / 142-138) هذا يونس في القرآن ولكن يونس البريكي هكذا يصوّره:

«يا **صبر يونس**/ مات الحوتُ من ظمأ/ والثلجُ من دمعةِ التاريخ/ لم يَذُب» (البريكي، ٢٠١٩م، ص٣٢) (al-Bariki, 2019, p. 32).

يستدعي الشاعر شخصيّة يونس حتّى يعبّر عن مصاعب الحياة وكيف أدبرت عنه وثمّ يرى البريكي أنّ الحوت يموتَ من الظمأ وهذا شيءٌ عجاب، ويحمل التعبير مفارقة تكشف عن رؤية الشاعر. ويقول أيضاً:

مُذ كان بطنُ الحوت يحضنُ صرخةً البحرُ كان على الغوايةِ مُخبرا

(المصدر نفسه، ص٦٨) (same, p. 68).

لقد رمز الشاعر إلى شخصية النبي يونس (عليه السلام)من خلال تعبيره عن "بطن الحوت"، فمفردة الحوت التصقت دلالاتها بالنبي يونس لارتباطهما التاريخي من خلال قضية معروفة. البريكي يرى نفسهُ كيونس سينجيه اللهُ لاشك به:

أنا صاحبُ الحوت الذي دفعت به للموج أخطاءٌ ليُبحرَ مُدبِرا

(البريكي، ٢٠١٥م، ص٧٠) (al-Bariki, 2015, p. 70).

يرى نفسهُ كصاحب الحوت أي النبي يونس، وقد جرّتهُ أخطاؤه إلى هذه صعوبات، ولكنه عارف بهذا الأمر وقد دبّر أمره. استدعاء شخصيّة يونس من قِبَل البريكي جعل المُتلقّي يشاطره في توتر

أزماته وهواجسه؛ لأنّ استلهام الشاعر للتراث الديني يمثّل أرضيّة مشتركة بين المبدع والمتلقّي ويسعفه في تقوية المعنى الذي يريد، وفي بناء شرعيّة حضارية تساهم في تقوية صوت النص، وفي قول ما لا يستطيع قوله، ويساعده في إيجاد لغة وشيفرة حيّة مع المتلقّي تمكّنه من فك رموزها ولا يظل ذلك حكراً على المبدع (عبيات، وبلاوي، ٢٠١٤م، ص٤٧٤) (abeyat, and bllavi, 2014, p. 474).

٣-١-٣- رمزيّة شخصيّة يوسف

أصبحت لشخصيّة النبي يوسف (عليه السلام) دلالة رمزيّة ممّا أتاح لها أن تؤدّي المعنى الكثير بإشارة عابرة فهي رمز للطهارة والعفة كأيوب رمز للصبر وإسماعيل رمز للتضحية والمسيح رمز للمحبة وفرعون رمز للطغاة. وظّف البريكي هذه الشخصيّة بأشكالٍ مُختلفة غير تقريرية لأنّ «توظيف الرمز الديني لا يعني تقديمه للقارئ بصورة سطحية وتقريرية مباشرة، بل يعني صياغته بطريقة جديدة متطوّرة معتمدة على دلالته التراثية الإيحائية بوصفها معطى حضارياً وشكلاً فنياً في بناء العملية الشعرية» (المصدر السابق، ص٤٧٤) (same, p. 474). لقد عكست شخصيّة يوسف في شعر البريكي أبعاداً اجتماعية ودينية وسياسية وفكرية في عصره وقد ربط بشكلٍ فنّي بين الماضي والحاضر؛ فيوظّف شخصيّة يوسف مخاطباً أبيه الاجتماعي قائلاً:

«إنّهُ يوسفُ القصيدِ يناديْ/ يا أبي/ قُضَّ مضجعي وتولّى»

(البريكي، ٢٠١٥م، ص٢٠) (al-Bariki, 2019, p. 20)

يستدعي شخصيّة يوسف في هذا النص ليظهر معنيين مختلفين، فالمعنى الأوّل يحتوي على جمالية نصوصه أي يوسف القصيد يعني الزخرفة التي أعطاها لشعره، في المعنى الثاني يريد بيوسف القصيد صعوبة حياته وعدم الحماية من قبل الأقرباء؛ ثمّ يقول:

«أسابقُ الذئبَ .../ أعدو قبل أن يصلوا/ إلى أبي بقميصٍ ليس من مائي/ وأدخلُ السجنَ/ لكن ليسَ لي صفةٌ/ إلا لأن دمي/ قد ملَّ إروائي»

(البريكي، ٢٠١٥م، ص٥٤-٥٥) (al-Bariki, 2015, p. 54-55)

فالذئب في سورة يوسف يوحي بعدّة دلالات، فالأولى حينما قال الأب: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف/ ١٣) (Yusuf / 13) فهذا هو ذئب التشاؤم والخوف، والدلالة الثانية ذئب الأخوة قبل أن يذهبوا إلى الصحراء حين قالوا لأبيهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ

أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف/١٤) (Yusuf / 14) والأخيرة الذئب الذي لا ذنب له: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف/١٧) (Yusuf / 17). وفي هذا النص استدعى البريكي من قصة النبي يوسف عدّة محطات، من خلال كلمات مفتاحية مهمّة (الذئب / القميص / السجن)، وقد أرادَ من هذا النص استدعاء شخصيّة يوسف قبل أن يُلقى في البئر وكأنهُ أراد أن يخلق فضاءات غير التي تعوّدَ عليها المتلقّي من خلال تكرار حوارية هذه الشخصيّة؛ وأرادَ بهذا الشطر "أعدوا قبل أن يصلوا" هي الشائعة التي تسبق كل شيء في البُلدان العربية ثمّ يوظّف القميص وهو محور أُكذوبة إخوة يوسف، والسجن الذي دخل إليه يوسف من غير ذنب. استخدم البريكي هذه الشخصيّة محمّلة بدلالات عدّة منها فكريّة ومنها سيكولوجية عميقة، بعد امتصاص دلالاتها الموروثة بما يتطلبه السياق الشعري. اختار البريكي شخصيّة يوسف التراثيّة وما يختصّ به من أحداث وقضيّة الذئب التي لا حقيقة لها، ويقول أسابق الذئب؛ أي بمعنى يسابق الشائعات والأكاذيب التي تتكاثر في المجتمع ويصف التُهَم التي لا صلة له بها بـــــ"قميص ليس من مائي" ثمّ يظهر مصدر هذا الحقد وهذه التُهَم وهي توفيقه وإنجازه؛ وقد أبدع في إيصال المفهوم للمتلقّي. ثمّ يسرد قصّة القميص ويعقوب النبي، عندما جاء أبناؤه بالنبأ حاملين قميص يوسف الملطّخ بالدماء:

«وتجلّى دمُ القميصِ فجاؤوا/ لأبِ الشعرِ/ وجهُهُم يتجلّى»

(البريكي، ٢٠١٩م، ص١٤) (al-Bariki, 2019, p. 14)

يرى البريكي أنّ أبناء هذا المجتمع وهذا العصر يفعلون بأهلهم وأقربائهم وإخوانهم كما فعل إخوة يوسف. فكانت عودة البريكي إلى التراث وشخصيّة يوسف عودة فنية، لا تقوم على أساس المتابعة والتقليد، ولا تدعو إلى المقاطعة والإهمال وإنّما استلهمت لتجمع الأصالة والمعاصرة في شعره.

٣-١-٤- رمزيّة شخصيّة موسى

استخدم الشعراء شخصيّة موسى (عليه السلام) رمزاً للصهاينة ورمزاً للشعب اليهودي المعتدي؛ وحسب رأي عشري زايد أغلب الشعراء الذين وظّفوا هذه الشخصيّة رمزاً للشعب اليهودي، كان تأويلهم خاطئاً لشخصيّة موسى (عليه السلام)؛ فموسى واحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة... (عشري زايد، ١٩٩٧م، ص٨٧-٨٨) (ashari zayed, 1997, p. 87-88). وقد اختلف محمّد عبدالله البريكي مع شعراء العرب المعاصرين في استدعاء هذه الشخصيّة، فقد

أعاد كتابة هذه الشخصيّة من جديد وعكف على امتصاص الثراء الدلالي للموروث الديني من خلال محاورته لشخصيّة موسى؛ فجسّد هذه الشخصيّة لنفسه ووحدانيته وعزلتهِ الجبرية قائلاً:

«فمنذُ أن أُلقِيَت في اليمّ أشرعتي/ ما كان يُرضعُ أحلامي/ سوى أدبي»

(البريكي، ٢٠١٩م، ص ٣٧) (al-Bariki, 2019, p. 37)

فيرى البريكي أنّهُ كالنبي موسى تُرِك في اليمّ ويقصد باليم هو المجتمع الذي يقطن فيه، فانطوى على نفسه ولم يُسليه غير الشعر. ثمّ يوظّف قصّة الطور حينما تحدّث النبي موسى مع الله قائلاً:

«يلاعبُ جمراً في قلبي/ وأنا ناطورُ الفكرةِ/ أرقبُ في العتمةِ ضوءاً/ يأتي من أعمدة الشارعِ/ يُلقي بالوحي عليّ/ ويمنحني مفتاحاً للبابِ الموعودِ/ بأغنيّة للروحِ وللتجريح»

(المصدر نفسه، ص٤٨) (same, p. 48)

يرى نفسه كالنبي موسى؛ منّ الله عليه بهداية تأتيه من جانبِ الوحي؛ وإذا أعطى اللهُ موسى النبوة فقد أعطى اللهُ للشاعر مفتاحاً للبابِ الموعود، وكأنّما يستبشر الشاعر أنّ ما سيأتي أفضل من هذا. ثمّ في قصيدة "جاءه الذئب" من مجموعة "بدأت مع البحر" يقول:

«تفسّحوا في مجازي/ يا أحبائي/ وحدّثوا الرملَ عن تكوينِ أضوائي/ وسارعوا.../ إنني في بدء بسملتي/ آنستُ ناراً/ وكان البردُ صحرائي» (البريكي، ٢٠١٥م، ص٥٤) (al-Bariki, 2019, p. 54)

فيستدعي شخصيّة النبي موسى (عليه السلام) ويتناص مع الآية الشريفة ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه / ١٠) (Taha / 10) فهذه النار هي نار الهداية والانطلاق.

٣-١-٥- رمزيّة شخصيّة عيسى

تكتسب شخصيّة المسيح (عليه السلام) بُعداً دلالياً لما تمتلكه في الحافظة الإنسانية من تقدير وإجلال، وهي تأخذ شرعيتها الدلالية من وجهتي النظر الدينية والإنسانية. لقد «عاش المسيح بين الناس لما يتعرضون له من مشقّات تتعبهم وآلام تحزنهم، ومسرات تفرحهم، وكان ينفعل وتجيش نفسه بشتّى العواطف والانفعالات التي يعرفها كل الناس من هنا ومن خلال هذا التشكل

لهذه الشخصيّة غدت رافداً ثراً ارتكز عليه الشعراء» (عبدالوهاب، ١٩٧٩م، ص٧٦) (abdul wahhab, 1997, p. 76).

فشخصيّة المسيح من الشخصيّات التي استخدمت بكثرة في الشعر العربي المعاصر سيّما شعراء الخليج وراح الكثير منهم يعلقون همومهم الذاتية وقضاياهم الموضوعية على عاتق تلك الشخصيّة الدينية والتي تجلّت فيها روح التضحيّة والفداء، والتضحيّة في سبيل الآخر ما لم تحمله شخصيّة أخرى. يوظّف الشاعر المسيح ليعبّر عن نفسه من خلالها وهذا الأمر خلافاً لشخصيّة النبي محمد حيث يخاف الشاعر من الإثم ليوظّفه لنفسه، فشخصية المسيح عليه السلام «أحسّ الشعراء إزاءها أنهم أكثر حرية، ومن ثم أطلقوا لأنفسهم العنان في تأويل ملامحها وانتحالها لأنفسهم ومعظم ملامح السيد المسيح في شعرنا المعاصر مستمدة من الموروث المسيحي» (عشري زايد، ١٩٩٧م، ص٨٢) (ashari zayed, 1997, p. 82). وهذا ما فعله محمّد عبدالله البريكي قائلاً:

«شكلتني الهمومُ/ مسيحاً ومقصلةَ في العراء»

(البريكي، ٢٠١٩م، ص٩٤) (al-Bariki, 2019, p. 94)

يرى نفسهُ في مواجهة الهموم كالمسيح حينما صلبه المعاندون وهُم يعرفون حقّانية دعوته. ففي هذا المقبوس نرى الشاعر ينتحل شخصية المسيح ليعبّر عن معاناته من خلالها دون أي تحفّظ وخوف.

٣-٢- الشخصيّات النسويّة

استطاع الشاعر العربي المعاصر أن يقوم بتوظيف شخصيات نسوية من الرمز الديني المتمثّل بشخصيّة حوّاء، ومريم العذراء، وآسية كشخصيات قرآنية وغيرهن من نساء مبشّرات بالجنّة أو نساء لديهن بصمة في تاريخ البشرية وسط التعتيم والتعسّف من قبل المجتمع الذكوري والجهات المتطرفة، وقد طالب الشعراء بحقوق العنصر النسوي المعاصر مستلهمين تلك الشخصيات التراثية، فصارت لهذه الشخصيات النسويّة في العصر المعاصر محوريّة ومركزية للتنديد بظلم المجتمع الذكوري ومطالبة الحقوق المرتبطة بالعنصر النسوي. جاءت شخصيّات مقدّسة في القرآن الكريم سيّما حوّاء، مريم المقدّسة، أُمّ موسى، آسيه من النساء المقدّسات عند البشريه بأكملها، والبريكي الشاعر الملتزم والمتعهد بقضايا اجتماعية، يوظّف هذه الشخصيّات البارزة في تجربته الشعرية بغية التعبير عن فكرته.

٣-٢-١- رمزيّة شخصيّة حوّاء التراثيّة

تكتسب شخصيّة حواء بُعداً دلالياً لما تمتلكه في الحافظة الإنسانية، وقد تغيّرت في بعض الأحيان دلالات مرتبطة بخروج هذه الشخصيّة من الجنّة؛ فحوّاء الشخصيّة التراثية التي وظّفها الشعراء حسب مزاجهم، فمنهم من وظّفها ليبيّن هيامها لآدم ومنهم من بيّن إغواءها لآدم، والبريكي يوظّفها قائلاً:

«لعطرك والوردِ في شفتيك/ تقولُ الغواية،/ لا تأثمي/ إذا قالَ تفاحُ حوّاك هيّا/ سيشرقُ من دمعتي آدمي» (المصدر نفسه، ص١٠٦-١٠٧) (same, p. 106-107).

وظّف هذه الشخصيّة التراثيّة حينما طلبت حوّاءُ من آدم لكي يجلب التفاحة ليأكلاها، وفي هذا المقبوس يقول الشاعر لخليلته بأنني كآدم، متى ما شئتِ سآثم لأتقرب منك. والتفاحة أصبحت رمزاً لصيقاً بشخصية حواء ودلالاتها بدال الإثم والخطية.

٣-٢-٢- رمزيّة شخصيّة مريم المقدّسة

يوظّف محمّد عبدالله البريكي الكثير من ملامح السيّدة مريم (عليها السلام) في شعره كحزنها على صلب المسيح وصبرها، وحجبها، وعذريتها. في المقبوس التالي يصف خجل حبيبته وحجبها وحياءها بـــ (الخجل المريمي) قائلاً:

«سآتيك من آخرِ الغيمِ عيناً/ ترى حسنُك الفذ/ لي ينتمي/ فقلبُك ينبضُ بالياسمين/ وفي عينيك الخجلُ المَريمي» (المصدر نفسه، ص١٠١-١٠٢) (same, p. 101-102)

فمن خلال ملامح شخصيّة مريم أراد أن ينسب الحُجب والحياء إلى حبيبته كما لدى هذه الشخصيّة التراثيّة. ثمّ في قصيدة "سيل من الدعوات" يذكّر المتلقّي بسورة مريم وأحداث السيّدة مريم من خلال الجناسات التي تشابه فواصل آيات هذه السورة قائلاً:

«لك التحليقُ في روحي/ فهيّا/ لتغسلَ داخلي شيئاً عصيّا/ وتمنحني كثيراً/ من كثير/ لأصعدَ قمةَ المعنى/ فتيّا/ ولي محرابٌ صوفيٌّ/ تجلّى/ لترقي روحهُ كوناً/ عليّا/ يعلمني إذا كفّي تدلّت/ سينبتُ ماؤها شيئاً خفيّا/ يا مريمُ لي التبتلَ في صلاتي/ ليأتي الجودُ في كفّي نبيّا»

(المصدر نفسه، ص٢٥-٢٨) (same, p. 25-28)

استخدم البريكي جناسات مختّصة بسورة مريم وابتداءَ من؛ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم/١٤) (Maryam / 14) فمفردات "عصيّا"، "فتيّا"، "خفيّا"، "نبيّا" جاءت للتذكير بسورة مريم. ثمّ في النص التالي يقول:

«تُعاتبني وهي صائمةٌ عن كلامي» (البركي، ٢٠١٥م،ص ٥٠) (al-Bariki, 2019, p. 50).

يشيرُ البركي إلى هذه الآية ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم/٢٦) (Maryam / 26) ويرى في هذا السكوت حكمةً ووقاراً. ثمّ يتلبّس البركي في هذه الشخصيّة قائلاً:

آتٍ من الصحراءِ روحُ حقيقةٍ تهتزُّ في سعفِ الرجاء لتُثمرا

(البركي، ٢٠١٥م، ص ٧٠) (al-Bariki, 2015, p. 70)

وكثيراً مايشير إلى هذه الآية ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم/٢٥) (maryam/25)؛ ويريد إظهار أنّ ما سيثمر في مستقبله هو هدية الله سبحانه وتعالى، له أيضاً:

«اسقطي من نخيلِ الجنونِ/ كما أشتهي/ ربّما حين هزّت يدي جذعَ هذا المساء/ تساقط بين ذراعيَّ من نخلةِ الصبرِ/ عذقُ الثبات/ ربّما اهتزّ من سعفِ الروحِ سُلّمُ عزفي/ ليس هنالك متسعٌ أيّها البردُ» (البركي، ٢٠١٥م، ص٩٨) (al-Bariki, 2015, p. 98)

أراد البركي أن يظهر أمله بالحياة وصبره ومكافأته من قبل الله سبحانه وتعالى وقد بيّن ولمّح إلى أحداث مريم العذراء وصبرها في مواجهة المجتمع الذكوري.

٣-٢-٣- أُمّ موسى

أُم موسى رمز للإيمان بحكمة الله وإرادته مع أنّ القلق كان في فؤادها تجاه طفلها عندما تركت موسى في الماء وهذا أمر طبيعي. جاء في الذكر الحكيم ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص/١٠) (Al-Qasas / 1)؛ فمن هذا المنطلق استخدم الشاعر هذه الشخصية قائلاً:

«حكمةُ الخوفِ/ أُمّ موسى تخلّت/ عن رضيعٍ ولم تكن قطُّ وجلى»

(البركي، ٢٠١٩م، ص ١٨) (al-Bariki, 2019, p. 18)

يوظّف البركي شخصيّة أُم موسى ليعبّر عن قضية الخوف بين البشر، وكيف يمكن للإنسان أن يجازف بترك إبنه في اليمّ للهروب من المأساة. وفي نص الشاعر يتبيّن لنا تناصه مع الآية الشريفة.

٣-٣- الشخصيّات المنبوذة

هنالك في الموروث الديني والتأريخي نرى بعض الشخصيات ارتكبت خطيئة وحلّت عليها اللعنة، ويجب أن نميّز بين هذه الشخصيات والإطلاع على دلالاتها في النص الشعري فمن تلك الشخصيات نرى الشيطان، وقابيل، وفرعون تمردوا على إرادة الله سبحانه وتعالى، وهنالك شخصيات منبوذة كيهوذا تلميذ المسيح الذي وشى به إلى كهنة اليهود. «وقد وجدت شخصيات النوع الأوّل لوناً من تعاطف الأدباء في العصر الحديث، وخصوصاً الأدباء الرومانتيكيين، حيث احتضنوا تمردها كتعبير عن النزعة إلى الحرية» (هلال، ١٩٦٢، ص٢١٣) (hilal, 1962, p. 213).

٣-٣-١- رمزيّة شخصيّة قابيل

حاول البريكي أن يكشف عن الألم الإنساني في شعره ومن أوضح الصور الدالّة على نجاحه في استمداد الرمز وتوظيفه فنياً في استشراف الألم الإنساني، صورة قابيل التي وردت في القرآن الكريم باعتبارها رمزاً للقتل والبغي ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائده/٢٨) (Almeida / 28) فهو كأوّل قاتل على وجه الحياة، وقد تحوّل عند البشرية إلى رمز لشراسة النفس الإنسانية وبشاعتها في مواجهة مغريات الحياة. قابيل أول شخصيّة طاغيّة بتعبير الروايات حيث قتل أخاه هابيل ومن هُنا ابتدأت مقابلة الخير والشر فيقول الله تعالى في محكم كتابه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائده/٢٧) (Almeida / 27) وقد شغف الرومانطيقيون بشكلٍ خاص بالشخصيات المطرودة والمتمردّة في التراث الديني كشخصيّة قابيل وقد صنعوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرّد على كل ما هو مألوف، وكل ما هو مقرّر ومفروض، وعبّروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانته هذه الشخصيّات من عذاب ولعنة من جرّاء تمرّدها (عشري زايد، ١٩٩٧م، ٧٥) (ashari zayed, 1997, p. 75) . وعددٌ كبير من الأدباء استخدموا هذه شخصيّات لإغناء نصوصهم، وهذا محمد عبدالله البريكي يقول:

فماذا جنى قابيلُ إلا لأنهُ على جثثِ القتلى يؤثِّثُ معبرا

(البريكي، ٢٠١٩م، ص٩) (al-Bariki, 2019, p. 9)

يرى محمّد عبدالله البريكي أنّ هناك الكثير من حُكّام الجور والطاغية في الشرق الأوسط تشبه شخصيّة قابيل في طغيانها وكما قتل قابيلُ، هابيلَ فهؤلاء أيضاً يقتلون ولايبالون. وفي معنى

آخر يصوّر الشاعر آلام الإنسان العربي المهزوم غدراً، حيث تكالبت عليه قوى الغدر والظلام لتسلبه أمجاده العظيمة. وفي مكانٍ آخر يرى الشاعر أنّ في وجوده قابيل:

«شجرُ الخطيئةِ قالَ لي، كن سيداً/ لكنّ قابيلي يؤثّثُ مشهده/ الآن من وعيي/ سأهربُ لا أرى..» (المصدر نفسه، ص١٦٤) (same, p. 164)

الشاعر في هذا النص يجعل لنفسهِ صفحةً سوداء حيث تجرّهُ نحو الإثم والأعمال غير اللائقة وهذا يدلُّ على أنّ الشاعر يعرف غياهب وخلجات النفس ويقصد بالنفس الأمّارة بالسوء.

٣-٣-٢- رمزيّة شخصيّة فرعون

فرعون شخصيّة تراثيّة أخرى وردت في القرآن الكريم، وكان لشخصيته دور مهم في الأدب والتأريخ وحتّى في الأمثال، يستخدمه البريكي قائلاً:

«حكمةُ الصبرِ/ أن فرعون يمضي/ نحوَ موسى وربّهُ ماتخلّى/ حكمةُ السلمِ/ أنّ للحربِ عذراً/ حكمةُ الحربِ أنّ للسلمِ قتلى» (المصدر نفسه، ص ١٩) (same, p. 19)

يظهر البريكي أنّ القوة التي يملكها البشر بيد الله سبحانه وتعالى ومهما كان البشر ضعيفاً لا يستطيع أحد أن يضرّه لو لا حكمة الله. وفي ديوان "بدأت مع البحر" يقول:

فصرحُ فرعون هدَّ الظلمُ هيبتهُ وأنتَ دعوةُ أُمٍ تقطفُ القمرا

(البريكي، ٢٠١٥م، ص٤٨) (al-Bariki, 2015, p. 48)

استدعى البريكي في هذا النص شخصيّة فرعون الجبّارة وشخصيّة أُم موسى التي منّ الله عليها وردّ ابنها إلى حضنها، فأراد البريكي بهذا الاستدعاء أن يظهر مدى فاعلية الصبر في المجتمع الإسلامي.

٣-٣-٣- رمزيّة شخصيّة السامري

السامري شخصيّة يهودية وأغوى بني أسرائيل بعد أن ذهب النبي موسى عليه السلام إلى الله، فأخرج السامري عجلاً جسداً له خوار، وجاء ذكره في القرآن ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه/٨٥) (Taha / 85). ويوظّف البريكي هذه القصّة بعد ما انتقد من ترك الأيتام تبكي، وترك المُسنّينَ في غياهب دار المسنين فيقول:

«وانفضّ سامرُهُم عم عصاه/ وأضحى يعدُّ بأعصابه/ خرزَ العمر»

(البريكي، ٢٠١٩م، ص٦٩) (al-Bariki, 2019, p. 69)

وبتوظيف السامري يرى أنّ المسلمين تركوا ما وصّى به النبي الأعظم حب الأيتام ورعاية الوالدين وكأن المسلمين دخل عليهم السامري.

٣-٣-٤- رمزيّة شخصيّة إبليس

الشخصية المنبوذة تظهر على نوعين؛ نوع منها تمرّد على إرادة الله عزّ وجلّ، ونوع منها تمرّد على البشر وسلب ونهب أبناء شعبه وغيرهم. وعلى قمّة المجموعة الأولى هو إبليس الذي تحدّى إرادة الله والإنسان، فشعراء العرب غالباً يوظّفون هذه الشخصيّة للأشخاص الطاغية وأهل الحروب. يقول البريكي مشبّهاً الطغاة بإبليس:

«يا ولدي والنجمُ ثالثُنا/ هناك تُحسَمُ.../ فاقرأ آخرَ البقرة/ وقال لي، إن هذي الحرب لو صمتت/ لن ينتهي بعدها/ إبليسُ والكفرة» (المصدر نفسه، ص ١٥٧) (same, p. 157)

فعبّر عن الأشخاص الذين يوقدون نيران الحرب بالكفرة وجعلهم في صفٍّ واحد مع إبليس. وقد يظهر ضعفه أمام الشيطان قائلاً:

«أراقبُ خُطُواتِ الوردةِ/ تترك فوقَ الفنجان القبلة والألوان/ كنتُ ضعيفاً/ لا أعرفُ قولَ أعوذ برب الناس/ من الشيطان» (المصدر نفسه، ص ١٨٥) (same, p. 185)

ويرى في غزله نوعاً من الإثم فيوجّه هذا الإثم بالضعف والمراهقة، وهذا فن من فنون الشعر. ولا يخفى أنّ الشاعر في هذا النص استدعى النص القرآني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس / ١) (alnas / 1).

٣-٤- الشخصيات الأسطورية

لكل شعبٍ أسطورة لعبت دورها الأساسي وتركت آثارها وبصماتها على حياة عامّة الناس. هناك شخصيّات حقيقية اتّخذها المعاصرون أسوة لحياتهم وتمثّلوا بها، وهناك أساطير وحكايات شعبية تراثية تأثّر بها الأدباء وغيرهم. وهنالك خصائص ورموز مشتركة في هذه الأساطير رغم تنوّع الأسماء واختلاف الشعوب وقد انتقلت من شعبٍ إلى شعبٍ آخر عبر العلاقات الثقافية. لقد تعدّدت هذه الأساطير في الأدب عامّة، وكل شاعر استخدمها حسب فهمها منها وحسب ما تفرضه عليه طبيعة السياق، ومن أبرز هذه الأساطير التي وجد فيها الشعراء طاقات دلالية مكثّفة هي أسطورة سيزيف لما تحمله من ألم ومعاناة بسبب طغيانها وتمرّدها.

٣-٤-١- توظيف أسطورة سيزيف

عكف البركي في شعره على استخدام أساطير اغريقية ورموز أسطورية ليجلب المعنى لنصه، وللرمز والاسطورة في الشعر العربي الحديث أهميّة بالغة لأنّ «الرمز والأسطورة والقناع أهمّ أقانيم القصيدة الحديثة، وبدونها تجوع وتعرى، وتتحوّل إلى مشروع أو هيكل لجثّة ميِّتة» (البياتي،١٩٧٩، ص ٣٦-٣٧) (albayati, 1979, p. 36). وظّف الشاعر العربي أسطورة سيزيف في شعره بكثافة، وتكاثرت دلالات هذه الشخصية الأسطورية؛ منهم من وجده سيزيف ذلك الفتى المتمرّد والعاصي للإله ومنهم من يراهُ الكئيب المُمل؛ عانى سيزيف بسبب تمرده على الآلهة معاناةً لا تشبهها معاناة؛ فقد وجب عليه أن يرفع صخرةً عظيمةً من أسفل الجبل إلى أعلاه إلّا أنّه لم يَتَمَكن من أداء مهمّته رغم محاولاته الجادّ وجهده الجهيد، فالصخرة تفلت من يديه حين وصولها إلى القمّة في كل محاولة. وهكذا أراد له القدر أن يعيدَ عملية نقل الصخرة ولكنّه لم يجنِ في كلِّ مرّة سوى الفشل والخيبة، ويظلُّ هكذا إلى الأبد وبذلك أصبح رمز العذاب الأبدي. يقول محمّد البركي:

على كتفيّ الأرضُ تحملُ وزرَها ويحملُني ضلعٌ أراهُ مكسّرا

(البركي، ٢٠١٩م، ص ٧) (al-Bariki, 2019, p. 7)

قصيدة "بكائية الغيم" تصوّر الإنسان المرغم الذي يتطلّع وراء العالم للكشف عن الراحة، وما يحصل من هذا العالم هو الأذى وتحطيم المبادئ، لهذا جسّد الشاعر أسطورة سيزيف تجسيداً تاماً لمغزى النص حيث نرى الإنسان المعاصر يتخبّط في مصائب عصره كما تخبّط سيزيف في مصائبه؛ ولم يصرّح الشاعر مباشرة بإسم سيزيف بل جاء بقرائن ترتبط بهذه الأسطورة.

٣-٤-٢- ساتورن

هناك آلهة رومية من روم القديم سُمّيَت بساتورن، وفي اليونانية سُمّيَت بكرونوس، وتروي لنا الأسطورة أنّ هنالك أحد الكهنة أخبر الآلهة ساتورن بأنهُ سيُقتَل على يدِ أحد أبنائه، وبدأ بأكل أبنائه بعد الولادة، وعند مولد جوبيتر، أخفتهُ أُمه عن ساتورن لكي لا يقتله الوالد وكما حدّد الكاهن، مات ساتورن على يدِ جوبيتر. (گرين، ٢٠٠٢م، ص ١٢-١٣) (green, 2002, p. 12-13). يقول البركي في قصيدة "أجلسني النهر" مشيراً إلى هذه الأسطورة:

«أجلسني النهرُ على السجادة/ عند المقرن/ قلتُ، لماذا تأكلُ أبناءك... حين تفيضُ عليهم بالطوفان/ فتسقطُ فيك قلوبُ نساءٍ..» (البركي، ٢٠١٩م، ص ٢٠٤) (al-Bariki, 2019, p. 204)

شبّه الشاعر النهر بساتورن عندما يبتلع أبناءه. أراد الشاعر أن يشبّه النهر بساتورن لا غير، وكان الاستدعاء للشباهة.

النتيجة

محمّد عبدالله البريكي شاعرٌ من إمارات المتحدة العربية ومن شعراء الجيل الجديد في الخليج، شاعرٌ له بصمته الخاصّة في الشعر الخليجي الحديث وقد تميّز البريكي في توظيف واستدعاء شخصيات تراثية وأسطورية بصُورٍ مختلفة منها للرمز، ومنها ليبان حاله كحال الشخصيّة الرئيسة ومنها لإكمال تجربته الشعرية، وتكون هذه الشخصيات التراثية بمنزلة رمز ثمين ومنبع غني من منابع إلهامه الشعري. والموروث الديني، والأسطوري من أهمّ مصادره التراثية التي عكف عليها. جاءت شخصياته الدينية على ثلاثة أنواع: -الأنبياء – شخصيّات نسويّة – وشخصيات منبوذة، واستدعاء الأنبياء منهم: النبي آدم، و النبي يوسف، والنبي يونس، ومن الشخصيات النسويّة: حواء، ومريم المقدّسة، وأُم موسى، ومن الشخصيات المنبوذة: قابيل، وابليس وفرعون. ومن الشخصيات الأسطورية، جاء بسيزيف وساتورن. وكان التوظيف لهذه الشخصيات تارة فنياً حيث استلهم دلالات الشخصيات وإيحاءاتها، وتارة سطحياً دون إضفاء أية دلالة عصرية على الشخصيّة، وبما أنّ القرآن الكريم يكون الجانب الأكبر من هويّة الإنسان العربي المسلم لذا إنعكست موضوعاته ولاسيّما شخصياته في شعر البريكي بصورة جلية. الشخصيات التراثيّة في نصوص البريكي لها دور ثانوي؛ وعادة ما تأتي استطرادية بين الموضوع الأصلي للقصيدة. فقد ساهمت الإستطرادات هذه في وحدة القصيدة من خلال ملاءتها مع الموضوع وتلوّنها بما يجعلها منسجمة معه. وقد اختار البريكي من الشخصيّة ما يتناسب مع موقفه الشعري ويترك الأجزاء الأخرى من الشخصيّة، وتارة يخلق الشاعر من الشخصيّة في شعره مضموناً جديداً في شعره يدلّ على قدرته الإبداعية وذلك بتحويرها بما يسمح له الفن الشعري.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اسماعيل، سيدعلي، ٢٠٠٠م، **أثر التراث في المسرح المعاصر**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- البريكي، محمد عبدالله، ٢٠١٥، **بدأتُ مع البحر**، دبي: مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع.
- ---------- ، ٢٠١٩م، **عكاز الريح**، الشارقة: إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة.
- بوعمارة، بوعيشة، ٢٠١١م، "الشاعر العربي المعاصر ومثاقفة التراث"، **مجلة الكلية الآداب واللغاتريا**، جامعة زيان عاشور–الجلفي الجزائر، العدد الثامن.
- البيّاتي، عبدالوهاب، ١٩٧٩م، **ديوان عبدالوهاب البيّاتي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار العودة.
- الجابري، محمّد عابد، ١٩٩١، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حمزة، حسين، ٢٠٠١م، **مراوغة النصّ**، دراسات في شعر محمود درويش، حيفا: دار كلّ شيء.
- خليل، أحمد خليل، ١٩٩٥م، **معجم الرموز**، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- صالح، كامل فرحان، ٢٠٠٩م، **الشعر والدين**، القاهرة: مجلس الأعلى للثقافة.
- ضيف، شوقي، ٢٠٠٣م، **سلسلة تاريخ الأدب العربي**، الطبعة الرابعة والعشرون، القاهرة: دار المعارف.
- عبيات، عاطي، ورسول بلاوي، ٢٠١٤م، "الشخصيّة القرآنية عند شعراء الشتات الفلسطيني أنموذجاً شخصيّة المسيح عليه السلام"، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١١، العدد٣، خريف ١٤٣٦هـــــ، صفحة ٤٧٣– ٤٩١.
- عشري زايد، علي، ١٩٩٧م، **استدعاء الشخصيّات التراثيّة في الشعر العربي المعاصر**، القاهرة: دار الفكر العربي.
- العيد، رجاء، ٢٠٠٣م، **لغة الشعر**، قراءة في الشعر العربي المعاصر، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- غنيمي هلال، محمّد، ١٩٦٢، **الأدب المقارن**، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الأنجلو.

- الفاخوري، حنا، ١٤٢٠ق، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، بيروت: دار الجيل.
- --------، ١٩٦٤م، **النقد الأدبي الحديث**، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- القعود، عبدالرحمن محمد، ٢٠٠٢م، **الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل**، عالم المعرفة، عدد ٢٧٩، آذار.
- الكركي، خالد، ١٩٨٩، **الرموز التراثيّة في الشعر العربي الحديث**، ط١ بيروت: دار الجيل، عمان، مكتبة الرائد العلمية.
- گرين، راجر لنسلين، ٢٠٠٢م، **أساطير يونان**، ترجمه عباس آقا جانى، ط٤، تهران: انتشارات سروش.

Confessions and references

- Quran

- Ashari Zayed, Ali, 1997, The Use of Past Characters in Contemporary Arabic Poetry. Al-Qaheri، Al-Arabi thinker.
- al-Bariki, Mohammed Abdullah, 2015, Badat al-Bahr, Dubai، The Al-Qaeda Debate Magazine of the Wadi al-Shari'ah and the Prophet of Wisdom and Distribution.

- ----------, 2019, Aqaz al-Rih, al-Sharaqi، Al-Qa'afi Dynamic Observations, al-Sharaqi Government.

- Al-Bayati, Abdul Wahhab, 1979, Divan Abdul Wahab Al-Bayati, Al-Thaba'a al-Thani, Beirut، Dar al- eawda.

- Boumaari, Boaishi, 2011, "The Contemporary Arabic Poet and the Use of Religious Culture", Al-Adab & Al-Laghatria Alcoholic Magazine، Ashur-al-Jolfi Algeria's Damaged Society, Al-Abd al-Thaman.
- Ebiat, Atei, rasoul Balavi, 2014, "Quranic Characters in the Poetry of Non-Western Poets Exemplified by the Prophet Jesus," Journal of Arabic Language and Literature, year11- number3, Autumn1436 AH, pp. 473-491.
- Eid, Raja'i, 2003, The Poetry of Al-Poetry, Research in Contemporary Arabic Poetry, Al-exandria, The Origin of Encyclopedia.

- Al-Fakhouri, Hana, 1964, A Critique of Contemporary Literature, al-Thaba'i, al-Qaheri.

- ----------, 1420, al-Jama'a in the history of al-Adib al-Arabi, Beirut، Dar al-Jail.

- Ghaniimi Hilal, Mohammed, 1962, Comparative Literature, Third Edition, Cairo: The Library of Al-Anloo.
- Greene, Roger Lancelin, 2002, The myths of Jonah, translated by Abbas Agha Jani, i 4, Tehran: Spread of Soroush.
- Hamzi, Hussein, 2001, Covering the Text, Research in the Poetry of Mahmoud Darwish, Haifa, Darlie Sheikh.

- Ismail, Sayed Ali, 2000, The Influence of Religious Culture on Contemporary Play, Al-Qaheri، The Waltz of Waltz and Waltz.
- Al-Jaberi, Mohammed Abed, 1991, Heritage and Modernity Studies and Discussions, Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Al-Karki, Khalid, 1989, Heritage Symbols in Modern Arabic Poetry, 1st floor Beirut: Dar Al-Jeel, Amman, Al-Ra'id Practical Library.
- Al-Qa'ud, Abdul Rahman Mohammed, 2002, Thumb in Modern Poetry, Factors, Manifestations and Mechanisms of Interpretation, The World of Knowledge, No. 279, March.
- Saleh, Kamel Farhan, ٢٠٠٩, Poetry and Religion, Cairo: Supreme Council of Culture.
- zayf, Shoghi, 2003, Series of History of Arabic Literature, 24th Edition, Cairo: Dar El Maaref.